فوائد لغوية

Notes lexicographiques.

افصح كلام العرب

Mots classiques.

يتولى تحرير الصحف والمجلات كتاب متفاوتو الدرجات في البلاغة والفصاحة . ومن الغريب ان فصحاء المنشئين قد يخطئون في ما يخطون جريا على مايرون او يسمعون من اولئك الكتبة الضعفة. فلهذا اردنا ان نعقد فصلا نشير فيه الى تلك الاوهام لئلا تسري الى سائر الخاصة او الى الكتاب ، اذ بين اولئك السفرة رجال يعدون من الطبقة الاولى بين الناطقين بالضاد .

وقد وسمنا هذا الفصل «بافصح كلام العرب» لاننا لانريد ان نخطئ احدا اذ كل خطأ في العربية قد يوجه فيخرج من وصفه بنعت يحط من صحته . فعسانا ان قام خالد وخالدا وخالد (اي بالضم وبالنصب وبالجر) ليس من الخطأ. اذ كل واحدة من هذه الحالات قد توجه فيقال : رفع خالد في الاول على الفاعلية ونصب في الثاني على تقدير قام رجل يسمى خالدا ، وجر في الثالثة على تقدير قام رجل يعرف بخالد . ولقد ترى مثل هذه التوجيهات شيئا كثيرا في كتب القوم من تفسير وحديث وادب ودواوين شعر ونحو وفقه واصول .

ولهذا لانتكر على احد توجيه كلامه الضعيف وانما نريد ان نبين هنا الافصح مما نطق به ابناء عدنان وماجاء مخالفا له لايعد من طبقته .

١ — محادثات مع ...

رأينا احد كبار الكتاب ينعت ما عربه من الفرنسية بقوله : « محادثات مع اناتول فرانس » فهذا التعبير وان كان جائزا عند العوام ومن اخذ اخذهم إلا انه لاينطق به فصيح ؛ بل يقول : « محادثات اناتول فرانس » لان المفاعلة لا تكون إلا مع اثنين ، فانك لا تقول حادثت معه ، بل حادثته . بيد أن قولك محادثات مع فلان هي بمعنى جرت معه ، او وقعت معه ، على ان الافصح هو ما اوردناه .

قال في تاج العروس في مادة ح ك د في كلامه عن المجاهدة : قال شيخنا : والاتيان بمع فيه ، من لحن العامة كما نصوا عليه . اه

وهكذا القول في كل ما جاء على المفاعلة فانه لايرد فيه بمع بخلاف التفاعل فانك تقول تحادث معه وتشاوك معه وتحارب معه .

٢ — لم تات (كذلك) بمعنى (ايضا) (ولا كذلك)

نشأت طبقة من الكتاب في هذه السنين الاخيرة وقد آلت على نفسها ان لاتستعمل في كلامها حرف « ايضا » اعتقادا منها ان الكلمة دخيلة في العربية او انها غير فصيحة . والحال ان الكلمة عربية صرفة وقد وردت في مصنفات اكابر اللغويين من اقدمين ومحدثين . ولايجوز ابدا ان يستعمل في موطنها « كذلك » اذ معنى هذه اللفظة غير معنى تلك . فقولك (كذلك) كقولك (مثل ذلك) او (مثل هذا) إلا ان (هذا) للقريب و (ذلك) للبعيد .

ومنهم من لايحب تكرير (كذلك) فيقول (كذاك) وهذه اقبح . فاستمع ما يقول صاحب لسان العرب : « في حديث عمر : كذاك لا تذعروا علينا ابلنا ، اي حسبكم ، وتقديره : دع فعلك وامرك كذاك ، والكاف الاولى والاخرة زائدتان للتشبيه والخطاب . والاسم (ذا) . واستعملوا الكلمة كلها استعمال الاسم الواحد في غير هذا المعنى ، يقال : رجل كذاك اي خسيس ، واشتر لي غلاما ولا تشتره كذاك ، اي دنيئا . وقيل حقيقة كذاك اي مثل ذاك . ومعناه الزم ما انت عليه ولاتتجاوزه . والكاف الاولى منصوبة الموضع بالفعل المضمر . وفي حديث بكر (رضه) يوم بدر : يانبي الله كذاك ، اي حسبك الدعاء ، فان الله منجز لك ماوعدك » اه كلام ابن مكرم .

واما ورود (ايضا) في لسان العرب والقاموس والتاج والصحاح والمصباح والمغرب وغيرها من كتب اللغة ، فاكثر من ان يحصى . على اننا نسأل هؤلاء المتحذلقين ان يقولوا لنا كيف يستقيم هذه العبارة الواردة في لسان العرب عند محوهم لفظة (ايضا) وابدالهم لها (بكذلك) . ودونك العبارة منقولة عن مادة بيد ، قال : « لان (ان) التي للانكار موكدة موجبة ، ونعم «ايضا كذلك» او والتي بمعنى نعم « ايضا كذلك » اه . فكيف يفعلون وقد جعل المؤلف

الكلمتين الواحدة منهما بجانب الاخرى مبينا ان معنى ايضا غير معنى كذلك . فنحن نتحداهم في ابدال (ايضا) (بكذلك) في هذه العبارة .

اما ان لفظة (ايضا) هي من اللاتينية item فمن المضحكات . نعم ان الكلمة الاجنبية تفيد هذا المعنى ، لكن كيف انتنا وفي اي عصر وكيف عربت؟ هذا كله من قبيل الاسرار الغامضة وهل من المحتمل ان تكون من تلك اللغة الغريبة ؟ فهذا زعم باطل. لان الذي نقل عن الرومان الفاظ دينية او اجتماعية او سياسية . وليست (ايضا) من هذا الوادي .

والذي نص عليه في اللسان هو ما يأتي : « آض يئيض ايضا : صار (كذا في الاصل المطبوع ونظنه « صار » ليتفق وما بعده ولان صاحب القاموس والتاج والصحاح ذكروا صار من معاني آض ولم يذكروا سار . فليحتفظ به لتصحيح ما ورد في اللسان) وعاد وآض الى اهله : رجع اليهم . قال ابن دريد : وفعلت كذا وكذا ايضا ، من هذا اي رجعت اليه وعدت . وتقول افعل ذلك ايضا ، وهو مصدر آض يئيض ايضا اي رجع . فاذا قيل لك فعلت ذلك ايضا قلت : اكثرت من ايض ، ودعني من ايض » اه — ومثل هذا او يكاد في الصحاح والمصباح .

وفي اللغات الساميات الفاظ مشتقة كلها من مثل معنى هذا الفعل فمنها من ثاب يثوب . ومنها من عاد يعود الى غيرهما . فيقول الارميون : (توبا) او (عود) بمعنى العربية (ايضا) . فكيف يبكرون عربية لفظتنا . وما هي الملتعم ؟ سامحهم الله !

٣ — خطأهم في المنسوب

ويكاد جميع الكتاب يخطأون في المنسوب المزيد على ثلاثة احرف المنتهي بالف او هاء . فيقولون مثلا فرنساوي وحباروي وجمادوي ومراموي في النسبة الى فرنسة (اوفرنسا) وحبارى وجمادى ومرامو وقد منع العرب ذلك وفصحاؤهم يقولون فرنسي وحباري وجمادي ومرامي فان الالف او الهاء تسقط اذا نسبت الى مثل هذا الاسماء سواء كانت الالف اصلية او زائدة للتأنيث او لغير التأنيث (راجع كتاب سيبويه طبع مصر ٢ : ٧٨ وما على حاشيته لابي سعيد في الصفحة المذكورة ولغة العرب ٤ : ٤٨٦ وما يليها) .

٤ـ ليس فقط بل و...

ومما كثر فساده وجل وروده في كلام المعاصرين من ارباب القلم قولهم «ليس فقط لم ارهم منافقين بل واغلبهم ، من مشاهير اللصوص .

فقولهم ليس فقط من سقيم النقل عن لغة الاعاجم : Non seulement je les trouve hypocrites, mais encore voleurs remarquables.

وزادوا هذه الركة سقما ان زادوا وراء «بل» حرف العطف فقالوا «بل و...»

وكل هذا التركيب تنفر منه نفس العربي الحر . والمشهور في مثل هذا الموطن قولهم : «لم ارهم منافقين فقط بل كذلك لصوصا واغلبهم من مشاهير اللصوص» ومثل هذا الكلام ماجاء في كلام الجاحظ في البيان (٣ : ٩ من طبعة الخطيب) «ولم ارهم يلتمسون المتكلف للبلاغة فقط ، بل كذلك يلتمسون المتظرف والمتكلف للغناء ... »

وللعرب صيغة اخرى لمثل هذه الفكرة ، وهي قولهم : رأيت اغلبهم من مشاهير اللصوص، فضلا عن اني رأيت اغلبهم من المنافقين. وهذا التركيب ادور على السنتهم وهو ارشق قواما من الاول وان لم يكن فيه قوة تلك العبارة .

قال في بشوار المحاضرة (١ : ٦٢) : « وكان يتبعض عليها بالماء ، فضلا عما سواه » . وفي كتاب العمدة لابن رشيق (ص٢١) « وتناول (الانعطل) من اعراض المسلمين اشرافهم . ما لا ينجو مع مثله علوي ، فضلا عن نصراني » .

فقد رأيت من هذا ان الجمع بين ليس وفقط متجاورتين لم يرد في كلام احد فصحائهم ، وكذلك الجمع بين « بل والواو » متجاورتين .

تصحيح

نبهنا حضرة صديقنا عبداللطيف ثنيان ان ما ذكرناه في ص ١١٩ سطر ١٤ «خلت البيوت» هو دون «خلت الرقاع» شهرة وان كان ماوجهنا اليه النظر صحيح لاغبار عليه. وما ذهبنا اليه ص ٩٢ س ١٩ بقولنا «بمسايلة الركيان» هو «بمسايلة الركيان» فنمحضه الشكر ونقر بضعفنا وخطأنا. (ل. ع.)